مجلة دراسات في سيكولوجية الانحراف
مجلة دولية نصف سنوية -554X ISSN :2602 EISSN :2773-2568
المجلد 06 العدد 01 السنة 2021 ص ص:421-446

اختلال الاتصال وجنوح المراهقة: مقاربة نسقية أسرية

-دراسة ميدانية بمدينة وهران-

Dysfunctional Communication and Adolescence Delinquency

-A case study at Oran-

زينب بلقاسم قوادري* خديجة كبداني
مخبر البحث في علم النفس وعلوم التربية جامعة وهران2 جامعة أحمد بن أحمد وهران2 الجزائر
belkacemkouadri.zineb@univ-oran2.dz Khadidja-15@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2021/05/05 تاريخ القبول : 2021/06/18

ملخص الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى تناول إحدى أخطر الظواهر على المستوى العالمي، وهي ظاهرة جنوح الأحداث، حيث انطلقت هذه الدراسة من مقاربة نسقية أسرية، أين أعطينا الأهمية الكبرى لدراسة أنماط وديناميكية التواصل داخل النسق الأسري، من أجل ذلك اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج العيادي الذي يرتكز على دراسة الحالة من خلال المقابلات العيادية مع الحالات في العيادة النفسية، حيث تم التوصل إلى نتائج مهمة جدا أبرزها أن الجنوح يكون نتاجا لسوء التوظيف الأسري، عن طريق مجموعة من الأنماط التواصلية المرضية الناتجة عن التغذية المرتدة السالبة بين أفراد النسق الأسري.

الكلمات المفتاحية:

الاتصال؛ النسق الأسري؛ الجنوح.

Abstract:

This study aims to address one of the most dangerous phenomena worldwide, which is the phenomenon of juvenile delinquency. This study stems from a systemic family approach, where great importance is given to studying the patterns and dynamics of communication within the family system.

For this reason, the present study is based on the clinical approach using a case study through clinical interviews with cases in the psychiatric clinic. Important results were reached; most notably that delinquency is a product of

* المؤلف المراسل

family misused and a set of satisfactory communication patterns resulting from negative feedback between members of the pattern.

Keywords:
Communication; family System; delinquency.

مقدمة:

إذا كان التحليل النفسي يرى في الجنوح نتيجة اضطرابات نفسية نشأوية أين تلعب الصدمات والإحباطات المبكرة أدوارا رئيسية في الدفع بالفرد إلى الجنوح لتحقيق الإشباع المولد للذة، وتجنب الحرمان المولد للألم، فهو بذلك يحقق أحد ركائز الحياة النفسية وهو مبدأ اللذة، غير أن الوسيلة في ذلك منحرفة، إلا أن هذه المقاربات ومن خلال تقنياتها النظرية والعلاجية لم تفلح في السيطرة على الظاهرة، وهنا نطرح تساؤلات عن وجود أبعاد أخرى لم تؤخذ بالاعتبار الذي لابد منه سواء على البعد النظري أو العلاجي، وهنا يرى أصحاب التوجه النسقي أن البعد الأسري هو بعد جوهري بل ومحوري في تفسير السلوك الجانح ومن ثم إمكانية التحكم فيه، فالأسرة هي التي تمتلك ميزة تحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن نفسي ثقافي اجتماعي، لذلك لا يمكن مقاربة الفرد خارج نسقه الذي يتميز بخصائص بنيوية محددة، حيث تشكل عملية التواصل جوهره، وبشكل التغيير وضرورة الحفاظ على الاستقرار مبدأين متناقضين فيه، ولا يتم التوفيق بينهما إلا من خلال جملة من الآليات التعديلية، يمثل إعادة بناء الاتزان الداخلي l'Homéostasie الذي يظهر عن طريق التغذية المرتدة جوهره الأساسي، لقد توصل إلى هذا العالم باتسون BATESON الذي تحدث عن الرابطة المزدوجة التي تمس الرسالة التواصلية, ووضح كيف أن التناقض التواصلي يمكن أن يكون من بين الأسباب المؤدية للفصام, فكيف ذلك مقارنة بجنوح الحدث.

إن العوامل الأسرية والاجتماعية والاقتصادية القاسية قد تكون السبيل المباشر لانحراف بعض المراهقين، لكن بالمقابل هناك أيضا أنساق أسرية تتمتع بالمكانة الاجتماعية والعلمية والمالية المرتفعة، تكون منتجة لمراهقين جانحين، فالخلافات بين الوالدين قد تكون عبارة عن خلافات فكرية أو شخصية يترجم بعدم الاتفاق على

البرنامج والأساليب التربوية والأهداف الأسرية، كل هذا من شأنه أن يكون مدخلا مباشرا من مداخل ظاهرة الجنوح بكل أشكاله.

1. **إشكالية الدراسة:**

سبق وأشرنا إلى أن الجو الأسري هو المحدد لسواء أو لا سواء أفراده، فالأسرة هي نسق متكامل وكلي بأجزائه، وأي تغيير في إحدى عناصره يؤدي إلى تغيير النسق ككل، فبنية الأسرة نسقيا تقوم على السيرورة العلائقية والتفاعل بين أفرادها، وعليه لابد للنسق الأسري أن يمتلك خاصية الضبط الذاتي لأفراده، وهنا تبرز حاجتين رئيستين: الاستقرار مقابل التطور، هذا ما يظهر مدى مرونة النسق في الموازنة بين الحاجتين.

هنا و في ذات الصدد يتحدث RATHER et al (1961) عن الاضطرابات الخاصة بمرحلة المراهقة والتي ما هي إلا ترجمة لمرض العائلة وظيفيا. (كفافي, 2009).

كما توصل ECCLES et al (1993) إلى أن المراهقة مرحلة تتميز بتغير على مستوى الأدوار و المكانة والقدرات، فتتحول من كونها علاقة (والدين-طفل) إلى علاقة (والدين-مراهق)، و المعنى أن العلاقة انتقلت من اللاتناظر أو اللاتساوي إلى التناظر و التساوي في القدرات البين-شخصية و القيادية، و بالتالي تؤدي هاته الحركية إلى اختلال الاتزان الداخلي للأسرة l'homéostasie، يعقبها محاولة النسق الأسري البحث عن اتزان جديد, وأثناء ذلك يصطدم النسق بجمود وتمرد المراهق على ثوابت النسق، و هنا يحدث الاضطراب. (مرجع سابق).

في ذات السياق يشير S.MINUCHIN إلى أن الاضطراب الوظيفي في النسق الأسري يؤدي إلى اختلال الأدوار واضطراب للسلطة الوالدية، وبالتالي انهيار الحدود وظهور الخلافات والتحالفات بين أفرادها، مما يترجم في مرض أحد أفرادها متقمصا لدور كبش الفداء Bouc émissaire

لقد اهتم بهذا الطرح العديد من الباحثين في دراسات مختلفة، فمن الدراسات العربية نجد دراسة محمد خماد وسعيد بن نويوة (2019) حول التواصل الأسري وعلاقته بالأمن النفسي لدى الأبناء، حيث درس فيها 195 تلميذ(ة) بالمرحلة الابتدائية من خلال

استخدام مقياس الأمن النفسي للطفل وتوصل إلى أنه كلما اضطرب الاتصال كلما قل الأمن النفسي للطفل.

في حين تناولت دراسة مخيمر صلاح (1986) العمليات المرضية من خلال المنظور التواصلي، توصل فيها إلى أن الطفل يقع فريسة الاضطراب والمرض النفسي عندما يقل التواصل بينه وبين أمه وعندما تتعرض الرسالة التواصلية للتشويه.

بينما دراسة عبد السلام أبو الحسن (2005) حول الأنماط التواصلية مع الوالدين وعلاقتها بالتوافق الأسري والجنوح الكامن لدى المراهقين من الجنسين، توصل إلى أن ضعف العلاقات التواصلية بين الطفل ووالديه وعجزه عن التعبير والتنفيس عن انفعالاته، يدفعه إلى توجيه عدوانه نحو الآخرين، والسعي للبحث عن انتماء بديل وجذب انتباه الآخر والالتحاق بجماعة الأقران.

دراسة صالح غريون (2015) حول العنف عند الحدث من خلال المقاربة النسقية توصل فيها أن العنف والعدوانية يمثل لغة تواصلية في خطاب وتواصل الجانح مع الآخر، كما يمثل تغذية مرتدة لرسائل استقبلها من النسق الأولي وهو الأسرة، وأن هشاشة النظام الأسري له دافع كبير في بروز شخصية عنيفة تكون وليدة مرضية داخل النسق.

دراسة خالص شامة وميزاب ناصر (2020) حول إدراك النسق الأسري لدى المراهق المدمن على المخدرات، توصلا فيها إلى أن المراهق يدرك نسقه الأسري على أنه مضطرب متصارع وغير مفهوم بالنسبة له ولا يشعر بالانتماء إليه.

أما الدراسات الغربية تنوعت هي الأخرى، فدراسة Whait, Makay, Shaw, Trasher بينوا فيها أن الجماعات الجانحة يحكمها نوعان من العوامل: عوامل الطرد والتي تتلخص في الأسرة والمدرسة, عوامل الجذب التي تشكل بديلا للبيت والمدرسة أين تتوفر المتعة، التعاون، التفاهم، اللهو والمشاركة الانفعالية، يقصدون هنا عامل الانتماء والقبول اللامشروط. (أكحل نفيسة: ص225). كما حددت دراسة Wakman, Meleod, Chaffee بعدين لوصف طبيعة البيئة الأسرية الاتصالية Family communication environnement وهما :

1-البعد الاجتماعي Social-oriented: هنا يشجع النسق الأسري الأطفال على حماية العلاقات الوالدية وتجنب أية مواجهة معهم، وتجنب الصراع الاجتماعي والإذعان للكبار واستخدام المعايير الأبوية والرقابة وتعزيز احترام السلطة.

2-البعد المفاهيمي Concept-oriented : وهنا يتم تشجيع الأطفال على التعبير عن الأفكار و المناقشة العلنية مع كل الأفراد بما في ذلك الوالدين، وبذلك يطور الأطفال وجهات نظر بديلة وجريئة وإبداعية في القضايا المثيرة للجدل، ويكتسبون مهارات النقاش دون اشتراط لطاعة السلطة الوالدية. (Koesten,2004, p228)

هذا ويعتبر لاقاش Lagache أنه يوجد قطيعة في بنية العلاقات بين الجانح والنسق الأسري الذي ينتمي إليه، فالجنوح عبارة عن نفاية للميولات العدوانية التي تتواجد بشكل عادي عند كل فرد ابتداء من الطفولة (Coslen,1996, P61)

غير أن Rosenzweig ذهب إلى أن الوالدين يلعبان وظيفة مفتاحية في عملية اكتساب القانون من طرف أطفالهم، وذلك من خلال ألفاظهم التلقائية أو من خلال سؤالهم لهم يثبتون القانون والمرجعيات في نظر الطفل، تتطور هذه الخطوة في وقت مبكر من عمر الطفل سواء بشكل ضمني أو صريح، تعتبر هذه الوظيفة البناءة أساسية لتطور شخصية الطفل، فيتعلم التحكم في رغباته، احترام الآخر، والتعايش معه، بالإضافة إلى احترام قواعد المجتمع الذي ينتمي إليه، والذي يمكنه من الاندماج فيه. (Rosenzweig, 1992)

ويؤكد هذا الطرح (Marcelli,2004) بقوله "تساهم حراسة الطفل ومراقبته ومنعه من الأفعال التي تسيء إليه في تحسيس الطفل بالأمن والأمان وتبعث في نفسه الثقة في والديه، فيتحرك بثقة وهو يدرك أنه إذا حاول الخطأ فإنهما يمنعانه ويحميانه". كما أشارت نتائج دراسة Harold et al (2004) التي كانت دراسة طولية تناولت الخلافات الزوجية والأمن العاطفي للطفل، توصلوا فيها إلى أن الأمن العاطفي للأطفال المتعلق بالخلافات الزوجية من خلال التنظيم السلوكي، التنظيم العاطفي، التصورات المعرفية، بأنها تؤدي إلى أعراض الضيق النفسي ومنها إلى الاضطرابات السلوكية بأنواعها والجنوح

واحد منها.(خماد، 2019). على الرغم من اختلاف وتفاوت نتائج الدراسات الحالية والسابقة في الإشكالية والهدف والمنهج والأدوات المستخدمة وبالتالي اختلاف النتائج، إلا أن هذا فتح مجال وضع الإطار النظري والمنهجي الذي حقق هدف البحث، فالدراسة الخاصة بنا تتفق مع الدراسات السابقة في موضوعها الرئيس وهدفها العام، إلا أنها تختلف عنها في عدة جوانب تمثل الاحتياج العلمي الذي تعالجه هذه الدراسة وهي:

تسعى لتناول أنماط الاتصال المضطرب (المرضي) والتوظيف المرضي للنسق الأسري وتأثير ذلك على ديناميكية العمليات النفسية للمراهق، وصولا لسيرورة الجنوح، بحكم أن الفعل الجانح لا يقع جملة واحدة وإنما له مراحل يمر بها، تتوافق كل مرحلة انحرافية مع نمط علائقي وتفاعلي معين داخل النسق الأسري.

تعدد أدوات هذه الدراسة حيث شملت على دراسة الحالة والمقابلات العيادية وسرد الحياة وحتى المقابلات العلاجية، لضمان تشخيص الواقع بدقة.

وهذا محور دراستنا الذي جعلنا نطرح الإشكالية التالية:

-كيف يؤثر اختلال الاتصال داخل النسق الأسري على جنوح المراهقة؟

-فيما تتمثل الأنماط التواصلية المرضية الأسرية؟

2. فرضيات الدراسة:

-جنوح المراهقة يعتبر تغذية مرتدة لنمط تواصل مرضي داخل النسق الأسري.

-هناك أنماط تواصلية مرضية داخل النسق الأسري الذي ينتمي إليه المراهق الجانح.

3. أهمية الدراسة:

-تعتبر هذه الدراسة محاولة علمية هامة لفهم الفعل الجانح عند المراهق من خلال مقاربة نسقية أسرية، بحكم أنه من غير الممكن فهم سلوك معين من خلال جزئية واحدة دون غيرها، وإنما ربط سلوك المراهق بما يحتويه نسقه الأسري من تفاعلات.

-توضيح دور الأسرة في ظهور بعض الاضطرابات الباثولوجية من خلال التركيز على دور التفاعلات بين أفراد النسق وكيفية تأثيرها عليهم.

4. أهداف الدراسة:

-دراسة نمط النسق الأسري الذي ينتمي إليه المراهق الجانح.

-تحديد الأنماط التواصلية داخل النسق الأسري الذي ينتمي إليه المراهق الجانح

5. المقاربة المفاهيمية:

1-5 الاتصال: تحدثت Mary Anne Fitz Patrick في مقال لها نشر في مجلة التواصل الأسري journal of communication (2004) عن تطور دراسة التواصل داخل الأسرة، وقد أكدت على أن تطور التواصل الأسري يعود إلى الدراسات التي أجريت حول التواصل الشخصي, باعتبار هذا الأخير مكون لبنية شبكة التواصل الشخصي بكل أنواعها، كما درست التواصل بين الأزواج، وكانت هذه الدراسة نوعية بحيث خلصت إلى تصنيف أنواع الأزواج طبقا للإيديولوجية التي يمتلكها الأفراد وطبيعة الشركاء ووظيفتهم في العلاقة التي يعيشونها،إضافة إلى مستويات الاستقلالية والتبعية التي يتميزون بها، ذلك أن بناء العلاقة تنطوي على السلوك التفاعلي و العمليات المعرفية والعاطفية. Kosten J, (2004)، حيث ترى Marry Anne أن التواصل هو تلك الديناميكية أو الآلية التي تسمح للشريكين بالتوافق أيديولوجيا بالدرجة الأولى، وبينهم وبين الأبناء بالدرجة الثانية، حيث تكون هناك مساحة للتعبير عن الأفكار والمشاعر، و تؤكد على أن إتباع أسلوب الفردية من طرف أحد الوالدين يحول دون التواصل المفتوح و الإيجابي، و بالنسبة إليها لا يوجد فرق بين التواصل و التفاعل، غير أن هذا الأخير أكثر عمقا، و هو يساعد في دراسة الاتصال بطريقة أكثر دقة و منهجية، كما يسمح باختبار المفاهيم الأكثر تعقيدا، فالزواج مثلا ينطوي على اتصال تفاعلي بين رجل و امرأة، و لكن عندما نضيف طفلا واحدا تصبح أنواع التفاعلات التواصلية كالآتي:

طفل-أم/ طفل-أب/ أب-أم/ أب-أم-طفل.

ومن المفاهيم التي تدخل تحت عملية التواصل أو يعتمد عليها التواصل هو مصطلح parentingلصاحبه Pourtois 1984 والذي يعني الأدوار الوالدية الضرورية التي تترجم على شكل تواصلي إما جيد و إما سيء و إما متناقض، كما يوضح gerris أن parenting عند ممارسته من طرف الوالدين فهو يترجم تبادلات تواصلية إيجابية عاطفية أو بالعكس سلبية عن طريق عدوانية مادية أو معنوية (Pourtois, 1987, p80)

نجد M.elkaim أيضا تتحدث عن مفهوم جد مهم يدخل هو الآخر ضمن مركبات عملية التواصل وهو آلية les résonances والتي تعني مفهوم الصدى، حيث يعرفه على أنه مفهوم نسقي دائري يقصد به وظيفة المعاش النفسي عند الفرد بالنسبة لأعضاء النسق الإنساني الذي ينتمي إليه، ويشير إلى أن عملية التواصل الأسري تترجم على شكل صدى أو تغذية مرتدة تحمل بناءات تواصلية، وليس فقط رسالة تواصلية، قد تكون هذه البناءات متجانسة متناقضة أو مختلطة. (Elkaim, 1995 ,P 989)

أما إجرائيا فنقصد بالاتصال تلك الآلية التي عن طريقها يكون أفراد الأسرة في تفاعل مع بعضهم البعض سواء اللفظية منها أو العاطفية وآلية حل الصراعات والخلافات، ونعني به في هذه الدراسة طبيعة التواصل بين المراهق والوالدين والقدرة على التعبير عن الانفعالات والمشاعر والأفكار والقناعات بينهم، ومدى استجابة الوالدين لتواصل المراهق معهم.

2-5 النسق الأسري: النسق يقصد به الكل المتفاعل، والنسق يضم الأشخاص في بيئة معينة بتفاعل معين وهو مفهوم شامل يضم الزوجين، والعائلة، والجماعة ابتداء من فردين، ولذلك نقول أن الزوجين أو الشريكين هو أصغر نسق، حيث وضع Muccheili R 1977 مواصفات وظيفية تميز النسق الزواجي:

-التفاعلات وتعني تشارك وتقاسم القيم وقواعد العلاقة الزوجية.

-وجود هدف مشترك أيا كان نوعه.

-وجود تبادلات عاطفية مشتركة.

-وجود بنية أسرية من نمط عاطفي قوي.

-وجود لاوعي جماعي.

-القدرة على بلورة نظام استقرار وتوازن مع المحيط الخارجي.

أما النسق الأسري من نوع والدين-أطفال فيعتبر نسق أسري من الدرجة الثانية relation verticale Trans générationnelle entre parents et enfants حيث يعرفه Roger Mucchielli 1980 أنه وحدة أو مجموعة ابتدائية أولية طبيعية، وأول من استخدم هذا المصطلح هو عالم النفس الاجتماعي Cooley والتي يقصد بها المجموعات الاجتماعية الصغيرة في تفاعل مستمر ومباشر وجها لوجه. (Elkaim, 2001)

كما نجد Murray Bowen 1978 تحدث عن أن النسق الأسري هو نظام انفعالي، وأن أفراد العائلة يؤثرون في بعضهم البعض بحسب تفاعلهم اللامبالي، وهو هنا يقصد الأنا العائلي اللامبالي la masse de moi indifférencié.

أما إجرائيا فنعني به الكل المتفاعل داخل الأسرة والذين هم في عيش مستمر مع بعضهم البعض وتحكمهم علاقات الأبوة والأمومة والبنوة.

3-5 الجنوح: يعرفه Mortiz Kuhn على أنه السلوك الذي يخرج على التوقعات المشتركة والمشروعة داخل النسق. (السيد, 1993, ص27).

أما عاطف غيث يعرف الجنوح على أنه نموذج من الفعل الذي يخرج تماما عن مجموعة المعايير التي وضعت للأشخاص في مراكزهم الاجتماعية. (عاطف، ص16).

وجنوح الأحداث حسب قانون العقوبات الجزائري المادة 49: "كل حدث ذكر كان أم أنثى يتراوح عمره بين 13-18 سنة ارتكب مخالفة أو جنحة يعاقب عليها القانون، وحكم عليه حكما قضائيا يقضيه في مؤسسات إعادة الإدماج والتأهيل أو مراكز إعادة التربية، بناء على أحكام التشريع الجزائري وفقا لقرارات وتدابير قاضي الأحداث كإجراء للحماية والإصلاح والتربية".

أما من المنظور النفسي فالجنوح يتمثل في حالات نفسية تتوفر لدى الجانح وتؤدي به إلى إظهار سلوك مضاد للمجتمع، تكون نتيجة لعوامل مختلفة تكون قد أعاقت النمو النفسي السليم لشخصية الحدث. (العصرة, 1974. ص 27).

ويتوافق مع هذا الطرح Auguest Auchhorn حيث توصل إلى أن الجنوح من الناحية النفسية هو انحراف عن العمليات النفسية السوية. (أوجست، ص22).

أما إجرائيا نقصد به في هذه الدراسة كل سلوك قام المشرع الجزائري بتجريمه ووضع قوانين خاصة لتطبيق العقوبة، وهو في دراستنا ذلك المراهق الجانح الذي يتواجد عندنا بالعيادة النفسية بهدف المتابعة.

6. جنوح الأحداث حسب المشرع الجزائري:

عالج المشرع الجزائري ظاهرة الأحداث المنحرفين في نصوص خاصة بدأت تظهر للوجود بعد الاستقلال، حيث أصدر قانون الإجراءات الجنائية سنة 1966، وقانون العقوبات الجزائري، الذي لم يتضمن قانون خاص بالأحداث كما فعلت غالبية الدول وإنما اكتفى بتشريع مواد وتدابير وقائية.

كما أصدر قانون لحماية الطفولة والمراهقة بتاريخ 1972/02/10، وقانون حماية أخلاق الشباب سنة 1976/09/16، وأسند مهمة الفصل في قضية الأحداث إلى جهة مختصة وهي قضاء الأحداث.

غير أن التخصص في تناول قضايا الأحداث المنحرفين وإخضاعهم لتدابير محددة جاء في المادة 444 من قانون الإجراءات الجزائية (ق. 82-03 المؤرخ في 13-02-1982) على أنه لا يجوز في مواد الجنايات والجنح أن يتخذ ضد الحدث الذي لم يبلغ 18 سنة إلا تدبير أو أكثر من تدابير الحماية والتهذيب التالية:

-تسليمه إلى والديه أو وصيه أو إلى شخص جدير بالثقة.

-تطبيق نظام الإفراج مع وضعه تحت المراقبة.

-وضعه في مؤسسة أو منظمة عامة أو خاصة معدة للتهذيب أو التكوين المهني مؤهلة لهذا الغرض.

-وضعه في مؤسسة طبية أو طبية تربوية مؤهلة لذلك.

-وضعه في مصلحة عمومية مكلفة بالمساعدة.

-وضعه في مدرسة داخلية صالحة لإيواء الأحداث المجرمين في سن الدراسة. (قانون الإجراءات الجزائية، 2015)

7. جنوح المراهقة: سيرورة، أشكال، و أنماط جانحة

المراهقة سيرورة الانسلاخ عن التبعية للطفولة والسعي نحو الاستقلالية عن الآخر، والمراهق في طريقه لذلك لا هو بالطفل ولا هو بالراشد، ومقابل ذلك هو مطالب بعمل الحداد للطفولة التي لا تزال آثارها حية فيه، وهي سيرورة نحو النضج العقلي والعاطفي والجنسي والاجتماعي، غير أنها أزمة حقيقية تعتبر كولادة ثانية حسب روسو، كما أنها مرحلة يعيش فيها المراهق حالة من اللاإتزان بين متطلبات المستقبل وإمكانياته المحدودة، هي أزمة صراع حول الهوية، الجنس، الذات، الآخر، وحول القيم والأخلاق وضوابط المجتمع. (الديدي, 1995. ص05).

7-1 سيرورة المراهقة:

هي تناقض تماما فترة الكمون التي تميز الطفولة الثالثة (6-11سنة) تتسبب في اختلال عملية الاتزان الأولي والتوجه نحو اتزان جديد، تتميز بأنا متصلب وحب الذات يقابله رغبه الالتحاق بجماعة معينة، وهنا نقصد التَماهي Identification, وانفتاح كبير يقابله انطواء على الذات وانعزال عن الآخر، الصور والرغبات الجنسية مقابل القيم الدينية والأسرية والاجتماعية والقانونية. من وجهة تحليلية فإن المراهقة بسلبياتها وطغيان الجانب الجنسي فيها، غير أنها تشابه في ملامحها العامة الطفولة الثانية (2-5سنوات)، إلا أنها أكثر منها خطورة، ذلك أن النشاط الليبيدي والعدواني يزداد إلى درجة تهديد الأنا عند المراهق الذي لم يعد يعتمد على الأنا الأعلى المتمثل في المفاهيم والرَوادع الأخلاقية

مثلما كان يفعل الطفل في دفاعه عند طغيان الغرائز أثناء الطفولة الثانية. (مرجع سابق، ص 10).

كما راح فرويد في أول بحث له عام 1906 يفسرها على أنها مرحلة جيشان انفعالي وتناقضات سلوكية فيما يحدث النكوص إلى الطفولة ويظهر العصاب بشكل لا لبس فيه.

2-7 أشكال المراهقة: حددها عبد الغني الديدي في الأشكال التالية:

7-2-1 المراهقة المتو افقة السوية: تتميز بالاتزان العاطفي وتكامل الاتجاهات والتوافق مع الذات ومع الآخرين، الاعتدال والقدرة على تحمل الإحباط وتجاوز القلق.

هذه المراهقة هي التي توفرت لها المعاملة الأسرية السمحة التي تتسم بالحرية والفهم واحترام نفسية المراهق وتوفير جو الاختلاط السليم بالجنس الآخر، وإشباع الهوايات والتعويد على الثقة بالنفس وشعور المراهق بقيمته واجتيافه للصور الأسرية الجيدة، إضافة إلى وضع الأسرة الجيد من الناحية الاقتصادية وتدني عدد المواليد والجو الديمقراطي السائد فيها.

7-2-2 المراهقة الانسحابية المنطوية: تتميز بالانطواء والمزاج الاكتئابي والسلبية والترددية والخجل الاجتماعي والشعور بالنقص وتدني تقدير الذات وقلة النشاط والاستغراق في أحلام اليقظة التي تدور حول موضوعات الحرمان والتثبيت على المراحل الطفولية من النمو النفسي والاتجاه نحو النزعة الدينية المتطرفة بحثا عن الراحة النفسية والخلاص من مشاعر الذنب.

هذه المراهقة ناجمة عن اضطراب السلطة الوالدية وتناقض الأساليب التواصلية.

7-2-3 المراهقة العدو انية المتمردة: سماتها الثورة ضد رموز السلطة والانحراف الجنسي والميل للأذى والعناد والتأثر السريع بأبطال الروايات والأفلام، الشعور بالظلم والقلق والاستغراق في أحلام اليقظة ونقص الحس الأخلاقي والاجتماعي.

هذا النوع من المراهقة تعود أسبابه إلى التربية الضاغطة المتزمتة المسلطة أو المتمادية في ضعفها ورخاوتها مما يعيق تكوين الضمير الأخلاقي والكوابح الداخلية.

4-2-7 المراهقة المنحرفة الجانحة: سماتها الانحلال الأخلاقي والجنوح المضاد للمجتمع والانتماء لأسرة مفككة أو منحلة أخلاقيا أو متشددة. هذه المراهقة من بين أسبابها مرور الحدث بخبرات شاذة وصدمات عاطفية عنيفة وقصور الرقابة الأسرية أو تخاذلها.

3-7 الأنماط الانفعالية للجانحين: يصنف "قهوجي عبد القادر" الأحداث الجانحين إلى الأصناف التالية:

1-3-7 متبلدو العواطف: يتميزون بالقسوة وجمود المشاعر وبرودة العواطف، لا يتجاوبون مع الناس ولا تربطهم بهم أية مشاركة وجدانية، أنانيين وهم الذين يرتكبون جرائم العنف، القتل، وهتك الأعراض.

2-3-7 متقلبو الأهواء: يتميزون بعدم الاستقرار وسرعة الانتقال من النشاط إلى الخمول ومن السرور إلى الكآبة، كما يتميزون بالثورة على الأنظمة القانونية، وهم من يرتكبون جرائم يغلب عليها الطابع العاطفي وجرائم التسول، التشرد، الإدمان على المخدرات.

3-3-7 سريعو الانفعال: يتميزون بالاندفاع والميل للشجار، رد فعلهم على الاستثارة عنيف وغير متناسب مع الموقف، وهم من يرتكبون جرائم الآداب العامة.

8. الإجراءات المنهجية:

1-8 منهج البحث: اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج العيادي كونه يهتم بالدراسة المعمقة والمفصلة للظاهرة العلمية، كما أنه يرتكز على البناء الديناميكي للشخصية وفهم الصراعات النفسية لدى الفرد، فهو حسب Reuchlin 1998, p53 "الدراسة المركزة والمعمقة لحالة فردية في بيئتها مع احترام هذه الفردية في إطار وضعية معينة وفي سياق تطور معلوم مما يسمح بفهم الأفراد".

2-8 مكان وزمان الدراسة: الدراسة تمت بعيادتنا الخاصة، بولاية وهران، وذلك في الفترة الزمنية أكتوبر 2020 إلى جانفي 2021.

3-8 عينة الدراسة: تمثلت في حالتين: ذكر وأنثى قدموا للعيادة بغرض العلاج النفسي.

9. عرض الحالات:

9-1 عرض الحالة الأولى:

الحالة ع.ب 16 سنة، ذكر يدرس بالسنة الثانية ثانوي، ينتمي إلى نسق عائلي متكون من أب أستاذ جامعي، والأم مختصة في الترجمة بمؤسسة في القطاع العام، له أخت تكبره ب 4 سنوات، وأخ من أبيه 30 سنة بعد طلاق زوجته الأولى، حيث تمثل شكل الجنوح في الاستهلاك والمتاجرة بالمخدرات والمؤثرات العقلية، وكان طلب الإحالة إلى عيادتنا برغبته الشخصية ومساعدة الوالدين، والسبب في ذلك هو الرغبة في التخلص من الإدمان وإنقاذ ما تبقى منه كما صرح لنا في أول استشارة نفسية.

الحالة دخل عالم المخدرات في سن 12 سنة، بدءا بالتدخين مرورا بالحشيش وصولا للمؤثرات والمهلوسات العقلية والمتاجرة بها في أوساط الشباب بغرض الاستهلاك.

يصرح الحالة أنه دخل عالم المخدرات برغبته التامة وأنه هو من بحث عنها وعن جماعة الرفاق، والسبب في ذلك هو رغبته في إثبات فحولته ورجولته في مجتمعه، والدافع وراء هذه الرغبة هو أخوه الأكبر الذي يعاني من اضطراب على مستوى الهوية الجنسية (تقمص أنثوي)، فأصبح بسببه يتعرض للتنمر والسخرية من أبناء حيه.

يقول الحالة أنه على الرغم من حداثة سنه آنذاك إلا أنه عرض الأمر على والديه حتى يمنعوا أخاه الأكبر من زيارة البيت (بحكم أن الأخ الأكبر بعد طلاق الوالدين تكفلت به عمته، وكما هو معروف عند غالبية الأسر الجزائرية وفور زواج الأب ثانية ونشوب مشاكل بين الأهل وزوجته قامت العائلة بإرسال الابن إلى أبيه)، إلا أن الأب رفض وبشدة، وهنا بدأت المشاكل الزوجية والعائلية في البروز.

في الجلسات الموالية وبعد التقاءنا بوالدي الحالة صرحوا أنهما كانا يعيان بخطورة الوضع غير أن الأب صرح أنه لم يكن في وسعه اتخاذ قرار إلا التكتم على الأمر وقهر الطفل الثاني، كما واصل القول "لقد كنت بين قرارين متناقضين، الحل المنطقي يقول لابد من الفصل في الأمر، والحل العائلي يقول لابد من تقبل الوضع والتكتم عليه le mythe familiale.

في أثناء هذه الجلسة حاولنا فهم طبيعة النسق الأسري، وفهم نمط الرابطة الزواجية، هنا لامسنا الخلل الوظيفي والتناقض في مبادئ النسق الذي يظهر منفتحا على الآخر ومنغلقا على نفسه في نفس الوقت، الأمر الذي جعل الطفل في حالة تناقض فكري وعاطفي. ونشير هنا أن الأب رفض مواجهة ابنه بأنه يعلم باستهلاكه للمخدرات، وذلك بحسبه من أجل الحفاظ على الحدود الموجودة بينهما وخاصة الحفاظ على الهيبة الأبوية عند الابن، والتظاهر أن سبب المتابعة النفسية هو استهلاك التبغ.

وفي الجلسة الثالثة حاولنا فهم سبب عدم الرغبة في المواجهة، فوجدنا الأب متمسكا برأيه بأنه صاحب مكانة علمية واجتماعية ولا يقبل بخدش صورته من طرف ابنه، وأن هذه المواجهة حتى وإن كانت علمية وعلاجية إلا أنها ستمس بمكانته الأسرية، بالمقابل الأم تقع بين تناقض في التصرف بين اجتناب المشاكل الزوجية والنزول عند رغبة زوجها، وبين قناعتها التامة في ضرورة الخضوع لجلسات العلاج العائلي وفق البروتوكول المسطر من طرفنا، وهذا ما جعلنا نوقف العلاج العائلي بسبب رفض الأب لهاته التقنية مركزا فقط على ضرورة متابعة ابنه لوحده فقط أو مع أمه وأخته. وهو الذي تم بالفعل قمنا بتغيير التقنية العلاجية وركزنا على العلاج الفردي للحالة حيث قمنا بتوجيهه لطبيب الأمراض العقلية والعصبية بغية متابعته طبيا، وهو ما رحب به الحالة و بدأ بالأخذ الفوري للأدوية ومتابعة جلساته النفسية، ولكن كما هو معلوم فالأدوية النفسية لها تأثيرات جانبية أحيانا تكون شديدة ومزعجة، وهو ما أخاف الحالة، حيث قمنا بعمل جلسة توجيهية وكانت جد ايجابية وفعالة. بعد شهر من بدء العلاج الطبي والعلاج النفسي، انقطع الحالة مدة 15 يوم عن زيارة العيادة النفسية، و بعدها زارنا مع والدته بعد أن قام بانتكاسة شديدة، حيث قام بأخذ المخدر بجرعة عالية، وأثناء الجلسة وقفنا على سبب الانتكاسة كما صرح الحالة أن الدواء لن يغير من وضعية الأسرة ولا يصحح وضعيته الاجتماعية، وأنه هو ضحية أنانية الأب وانحراف أخيه الأكبر، وأنه طالما الوضع بالعائلة على حاله فإنه هو الآخر سيبقى على حاله وسيعاقب والده على ذلك بإيذاء صورته في المجتمع، وأنه مطالب بتقبله بإدمانه كما تقبل أخاه بانحرافه الجنسي، و بالمقابل يصرح برغبته الشديدة في التخلص منها، و لكنه يفتقد للسند وسنده الوحيد هو المخدر.

2-9 عرض الحالة الثانية:

الحالة س.ن تبلغ من العمر 15 سنة، سنة رابعة متوسط، تنتمي إلى نسق عائلي متكون من أب مختص في الإلكترونيات، وأم خريجة قانون ماكثة بالبيت، ورتبتها الثانية بعد أخت تكبرها بسنتين، وبعدها ثلاث ذكور، الحالة تم إحالتها إلى عيادتنا من طرف طبيب الأمراض العقلية والعصبية، بعد تعرضها لنوبة هلع شديدة. الحالة تقول أنها دخلت عالم البغاء في سن 10 سنة، وسبقها تحرشات جنسية من طرف فتيات من العائلة الممتدة وكن يكبرنها بالسن، كما تصرح أنها في بداية الأمر لم تكن تعرف ما تتعرض له، ولكن مع الوقت بدأت تحب ممارسته، لأنها تجد فيه راحتها من الضغوطات الأسرية التي كانت تعيشها.

في دراستنا للحالة وجدنا أنها كبرت في أسرة متشددة وجد منغلقة وغير متسامحة، حيث كان التقييد في اللباس وفي مشاهدة التلفاز والعقاب الجسدي هو لغة العائلة في التهذيب خاصة من طرف الأم، التي تصفها لنا الحالة أنها هي حاكمة البيت. الحالة صرحت لنا بحجم العقاب البدني الذي تعرضت له منذ صغرها لدرجة أنها فكرت في الانتحار ولم تقم به مخافة أن تفشل المحاولة وتتعرض بالتالي للعقاب من طرف والدتها، تضيف الفتاة موضحة أنها كانت تقوم برعاية إخوتها الصغار كأنها والدتهم، وأنها لم تكن تقو على ذلك، لكن الإجبار كان لغة الأم معها.

كانت الحالة دائمة الاحتياج للاحتواء والحب، ولم تجده إلا في حضن الفتيات المنحرفات جنسيا "السحاق"، فكان هذا السلوك هو المتنفس الوحيد لها، وبعد مدة تطور الأمر لتصبح مدمنة لمشاهدة الأفلام الإباحية، وهنا بدأت تراودها فكرة العلاقات الجنسية، وبالفعل بدأت بالبحث عن جماعة تعينها على ذلك، وبدأت بممارسة الانحراف، كما صرحت الحالة أن هدفها لم يكن المال ولا أي شيء مادي، وإنما فقط تحقيق الشعور بالحب والاحتواء، وهو ما وجدته فعلا في هاته الجماعة. وأثناء دراستنا للحالة صرحت أن لها رغبتين جنسيتين متناقضتين، تارة تمارس "السحاق" مع الفتيات، وتارة تمارس الجنس مع الذكور، وفي محاولتنا لفهم الرغبة والسلوك، توصلنا إلى أنه إذا كانت الحالة في عنف مع والدتها فإنها تمارس السحاق، والعكس إذا دخلت في عنف مع والدها فتتجه

للذكور، والحالة لم تعد تتحمل حجم الألم الذي تعيشه، وهو ما تسبب لها بنوبة هلع في إحدى الليالي، مما استوجب نقلها إلى مصلحة الاستعجالات، وبعد الفحص الطبي تم توجيه الفتاة لطبيب الأمراض العقلية والعصبية والذي بدوره أحالها إلى عيادتنا، وهنا نشير إلى أن الحالة لم تصرح للطبيب بوضعيتها الإنحرافية، واكتفت فقط بوصف الضغوطات العائلية، وقام الطبيب بتوجيهها إلينا.

عند قيامنا بالجلسة الوالدية، سجلنا حجم التشدد والانغلاق الفكري الذي يميز هذا النسق الزواجي، وهو الأمر الذي صعب من تطبيق البروتوكول العلاجي النسقي، واكتفينا بمتابعة الحالة لوحدها مبدئيا، كما قمنا بجلسات أسرية بهدف مناقشة آليات التواصل الأسري ودراسة التفاعلات العلائقية بين أعضاء العائلة، وعند دراستنا للعلاقة الزواجية وجدنا أنهما يملكان نفس البرنامج التربوي والأسري، ويتفقان عليه وراضيان تماما عليه، وهنا لمسنا التوافق الزواجي بينهما ورضا كل طرف عن الآخر، وهو الأمر الذي جعل الزوج يترك للزوجة حرية التصرف داخل البيت، ويترك لها مسؤولية القيادة التربوية كما يعبر عنها، نظرا للثقة التي يملكها تجاه زوجته، وخاصة تعاملاتها مع بناتها، وأن الأب لابد أن يترك مسافة بينه وبين بناته. وفي نظرهما أن البرنامج التربوي من صلاحية الوالدين ولا يسمح باستشارة الأبناء فيه، فالأسرة كما يصرحان هي عبارة عن نظام دولة مصغر، نجد فيه حاكم ومحكوم، ويؤمنان جدا بفعالية العقاب البدني وأنه هو السبيل الوحيد لضبط سلوك الأبناء وخاصة البنات، بحكم أنها قنبلة موقوتة قد تنفجر في أي لحظة، حسب قول الأب.

في الجلسة الثالثة قمنا بها مع الأم لوحدها، بغية فحصها وفهم نفسيتها، فوجدنا أنها تعاني من خلل على مستوى التقمصات الأنثوية، حيث تمتلك سلوك رجالي، ونبرة صوت خشنة نوعا ما، تفتخر كونها كبرت في أسرة من 10 إخوة رجال، وأنها كانت تحاكي سلوكياتهم وكانت محببة من طرف والديها، وهو ما جعلها ترى نفسها مميزة بامتلاكها الصفتين: الأنوثة والذكورة، كما تظهر نرجسيتها بشكل واضح، كثيرة الكلام عن نجاحاتها ومكانتها الأسرية والاجتماعية، كما تفتخر بخوف بناتها منها، فتقول أنها عند تعنيف بناتها لا تشفق عليهن, لأنها تحس بمدى سيطرتها على البيت وضبط البرنامج.

10. تحليل الأنساق الأسرية وفق نموذج الوالدية/ الزواجية حسب John louis Linares.

10-1 تحليل النسق الأسري الأول:

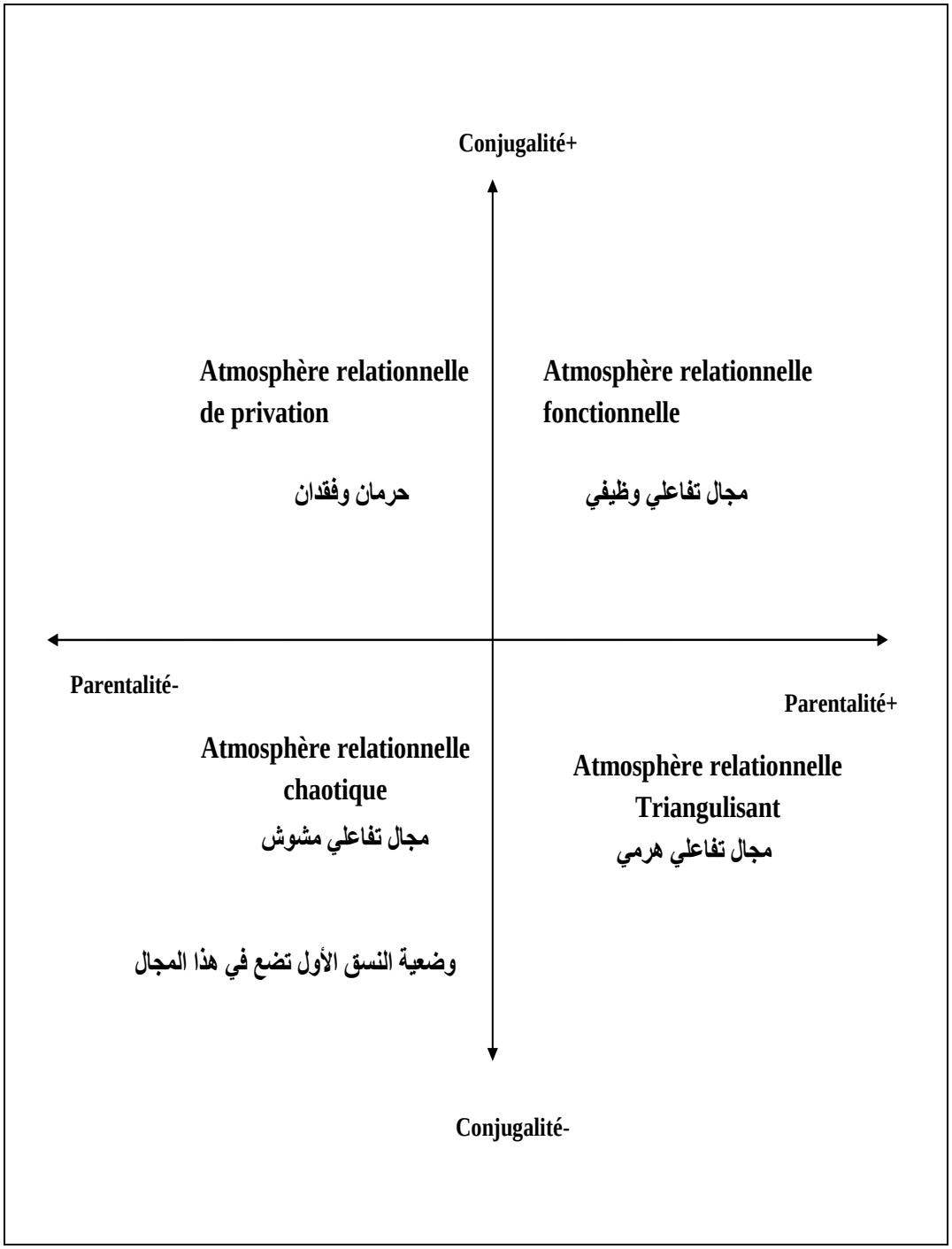

نموذج رقم -1- John louis Linares يوضح بعدي الزوجية/الوالدية وآلية تأثيرهما على سيرورة النسق الأسري.

نلاحظ أن النسق الأ في هذه الحالة يقع في المجال العلائقي المشوش أو المضطرب، الذي يتميز بالأداء الزواجي السلبي، والأداء الوالدي السلبي، أين تكون التفاعلات مشوشة وغير مفهومة, يتجه فيها كل طرف في جهة تفاعلية متناقضة.

2-10 تحليل النسق الأسري الثاني:

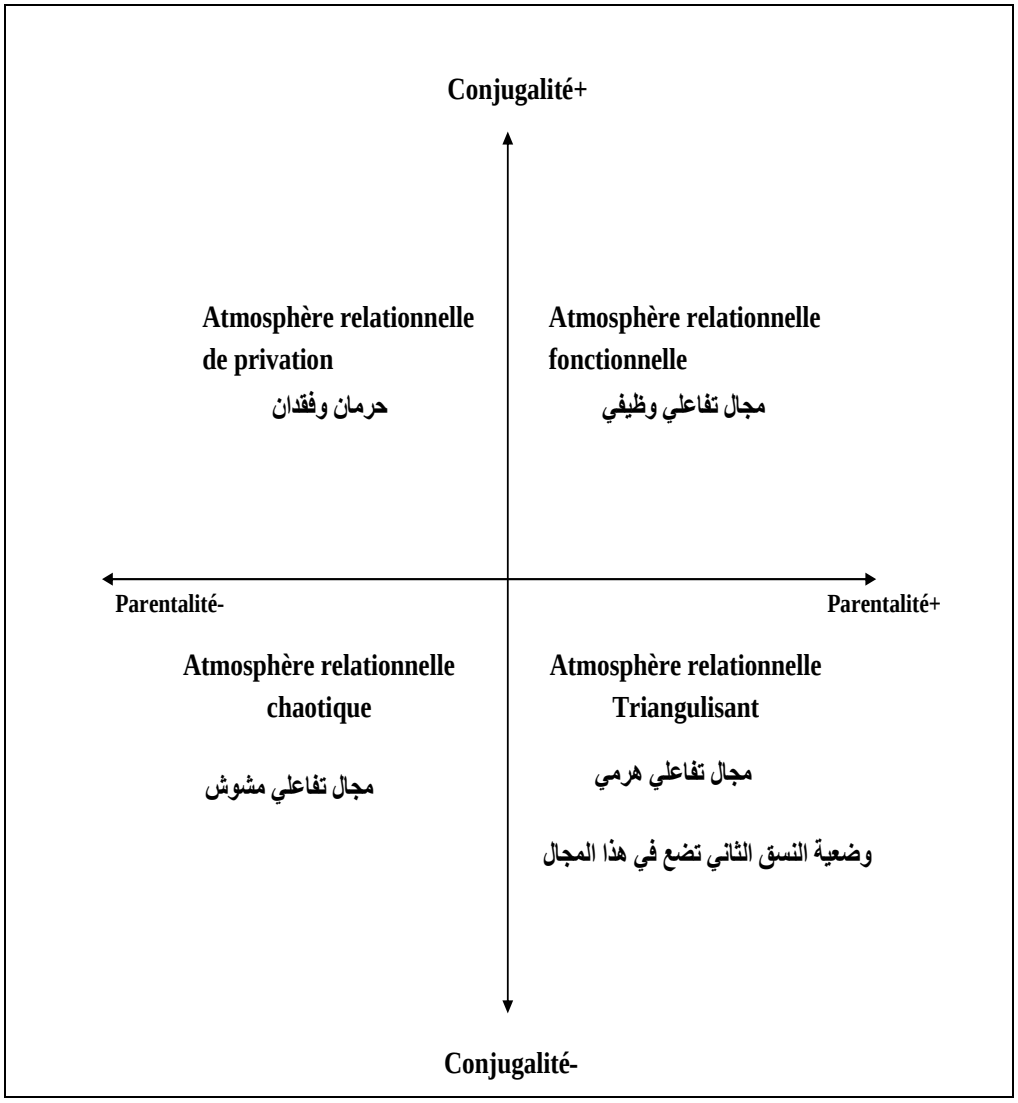

نموذج رقم-2- John louis Linares يوضح بعدي الزوجية/الوالدية وآلية تأثيرهما على سيرورة النسق الأسري.

النسق الأسري الثاني يقع في المجال التفاعلي الهرمي أو المثلثي، حيث التبادلات والتفاعلات الزواجية جيدة على مستوى العلاقة الزوجية، وسلبية وأحادية التواصل على المستوى الوالدي.

11-مناقشة النتائج:

لقد تقاطعت الحالتين من خلال تشابه النسق الزواجي من ناحية عدم تمايز الذات لدى الوالدين، كما يقول Muray Bowen في مصطلحه la masse du moi indifférencié، ونقصد بعدم التمايز هو عدم التمييز بين نداء العقل ونداء العاطفة، مما نتج عنه سلوك غير ناضج وفظ، وهذا ما أدى إلى التناقض وعدم وضوح الحدود خاصة ما تعلق بالثوابت الأخلاقية والقيمية والقانونية والاجتماعية، مما تسبب في انفجار الحدود داخل النسق الأسري لكلا النسقين، وهنا ظهر اضطراب السلوك لدى المراهقين في صورة فعل جانح. حسب Minuchin في نظريته حول العلاج البنائي الأسري، يؤكد على أن العلاقات الأسرية يحكمها بناء محكم، وإذا ما تغير هذا البناء لأي سبب من الأسباب، فإنه بالضرورة يعطي تغيير في سلوك الأنساق الفرعية، والتي تمثل في هذه الحالة الأبناء، وهنا تحركت التغذية الرجعية بأثر سلبي ومرضي، ودفعت بالنسق الأسري نحو البحث عن اتزان جديد أو الرجوع إلى الاتزان الأول، وبسبب ظهور معطيات ومدخلات جديدة حصلت الفجوة النسقية، مما أدى إلى اضطراب النسق، فظهر الانحراف السلوكي.

مفهوم التثليث أو المثلث الفيروسي أو الالتفاف حول المشكل الرئيسي بمشكل آخر (آلية الالتواء النسقي كما تصطلح عليها الباحثة)، وهي عبارة عن آليات تعديل مرضية يلجأ إليها النسق الزواجي في حال عدم قدرتهم على حل مشكل بينهما، فيقوم باستدعاء أضعف عنصر في العائلة ويسقطون عليه مشاعرهم وصراعاتهم، والاستدعاء هنا يكون بطريقة لاشعورية (Fourez, 2007)، وهنا يقوم المراهق بقوة الطرد التي يشعر بها من طرف والديه بالتقرب من جماعة الرفاق، مما ساهم في إثارة المخاوف الوالدية، وقيامهما بمقاومة هذا الابتعاد، وهكذا يبقى الجميع في حلقة مفرغة وعلاقة عكسية، فكل محاولة ضبط

جديدة من طرف الوالدين يقابلها المراهق بمسافة ابتعاد، لأن الوضعية هنا لا يمكن حلها إلا بالمرور على العلاج النسقي العائلي عن طريق إعادة هيكلة النسق وتنظيم تفاعلاته وبناء آلية تواصل فعالة. فالأسرة نسق يتواجد ضمن نسق أكبر وأوسع ومختلف وهو المجتمع, والذي يحتوي أنساق مختلفة ومتمايزة من حيث التكوين والمبادئ التي يؤمن بها كل نسق والهدف الذي يسعى للوصول إليه، والأسرة أمام هذا التحدي الذي يقضي الإيمان بمبدأ ضرورة التغيير لمواكبة الأنساق الأخرى، ومبدأ الحفاظ على الاستقرار والتوازن النسقي، ولا يمكن التوفيق بين هذين المتناقضين إلا من خلال منظور تواصلي، وتعلم الأسرة لمهارة تعديل النسق بنفسه Autorégulation بواسطة آليات التعديل والذي يضم مفهوم المفعول الارتجاعي الإيجابي أو السالب -/+ Rétroaction

نعلم تماما أن في المقاربة النسقية لا نهتم فقط بالعرض الفردي، و إنما نرى أنه امتداد لاضطراب كل النسق، بحيث تحتل الرسالة التواصلية المتناقضة communication paradoxale الأهمية القصوى لأنها تؤدي إلى عسر التوظيف العائلي le dysfonctionnement familial وهذا ما ميز النسق العائلي الخاص بالحالة الأولى، حيث لعبت الخرافة الأسرية le mythe familiale والنماذج السلوكية عبر الجيلية دورها الكبير في اضطراب النسق وجنوح المراهق, كلها عوامل أثرت على وضعية الأسرة الحالية، وذلك عبر مجموعة من الميكانيزمات اللاشعورية ومنها: ممارسة التأنيب على المراهق كي يتحمل مسؤولية أسرية وأخذ دور من الأدوار الوالدية بداعي الولاء العائلي، وهنا يظهر دور كبش الفداء متجسدا في المراهق، هنا يقول (Caille,1985,p42) "أن الأسرة شأنها شأن كل الأنساق الأخرى، تقوم بإحداث التغيير والتحويل للعناصر المكونة لها، لكن دون فقدان هويتها وأهدافها، ولكن وهي تحاول تعديل سلوكيات أفرادها حسب مبدأي الثبات والتوازن، تنحرف الأسرة عن أهدافها وتفقد ليونتها التفاعلية، مما يجعلها تعاني من عسر الأداء الوظيفي الأسري".

كما تؤكد Angel.s et Angel, 2005,p27 على استحالة إيجاد العلاقة السببية للإدمان (أيا كان نوعه سواء مخدرات أو ممارسة الجنس أو أي سلوك إدماني آخر) على شاكلة حادث ما يرد إلى الطفولة، بل إن العديد من العوامل قد تؤدي إلى الشيء نفسه على غرار الصدمات والحرمان العاطفي والإهمال والاعتداءات الجنسية إلى غير ذلك من العوامل.

في المنظور النسقي ليس مطلوبا منا معرفة السبب أو العامل المباشر الذي يؤدي إلى الانحراف، لأنه لا يمكن أبدا الوصول إليه، كون الأسرة نسق مفتوح يحتوي على عمليات وآليات تواصلية لامنتهية, ونتجه بالمقابل نحو البحث في شبكة العلاقات الأسرية التي إذا تمكنا من فهم تفاعلاتها، تمكنا بالمقابل من تغيير هذه التفاعلات ومحاصرة السلوك المنحرف، هذا ما نلمسه خاصة في النسق الأسري الخاص بالحالة الثانية، فكون النسق منغلق على نفسه ولا يتفاعل مع العالم الخارجي أزَم من وضعية أفراده النفسية، فالانفتاح على الأنساق الأخرى يعد مبدأ ضروريا للاستمرار، فالأسرة لها أركان نرجسية تكونها كهوية: ومفهوم ذلك أن السلوك الانحرافي يحمل من العنف والصَدمية ما يترك الأسرة عاجزة أمام معالجته، فتلجأ إلى الآليات الدفاعية الأكثر استخداما وهي: الإنكار ثم الكتمان، وتعد هاتان الآليتان جدا مكلفتان بالنسبة للاقتصاد النفسي للنسق الأسري، فالحادث سوف ينسى مع الوقت، ولكن ما يبقى هو النموذج السلوكي الذي ينتقل عبر الأجيال إلى أن يصبح قاعدة تعاملية لمن بعدهم، ولكن من الناحية العيادية الأسرية هي نماذج سلوكية مرضية، و هنا يتحول الإنكار والكتمان من كونهما آليتان دفاعيتان إلى نموذج تواصلي نسقي مؤطر للأسرة، وهنا نجد أنفسنا أمام مفهوم التعمية النسقية الأسرية، و لتي نريد بها الكف الإرادي للأسرة عن مواجهة المشكل وحله عن طريق خرافة التناغم الأسري، لأن في نظر النسق معالجة المشكل تعني أساسا الاعتراف بعدم تجانس أو تناغم النسق، وأمام المكون النرجسي للأسرة يجد النسق نفسه مجبرا على الإنكار ومن ثم الكتمان. (Michard, 2005)

إن دراستنا هذه قد أجابت على التساؤل الرئيسي حول آلية تأثير اختلال الاتصال داخل النسق الأسري على جنوح المراهقة، حيث تمكنت الباحثة من وضع مخطط يوضح بإيجاز سيرورة المرور للفعل الجانح عبر المخطط التالي:

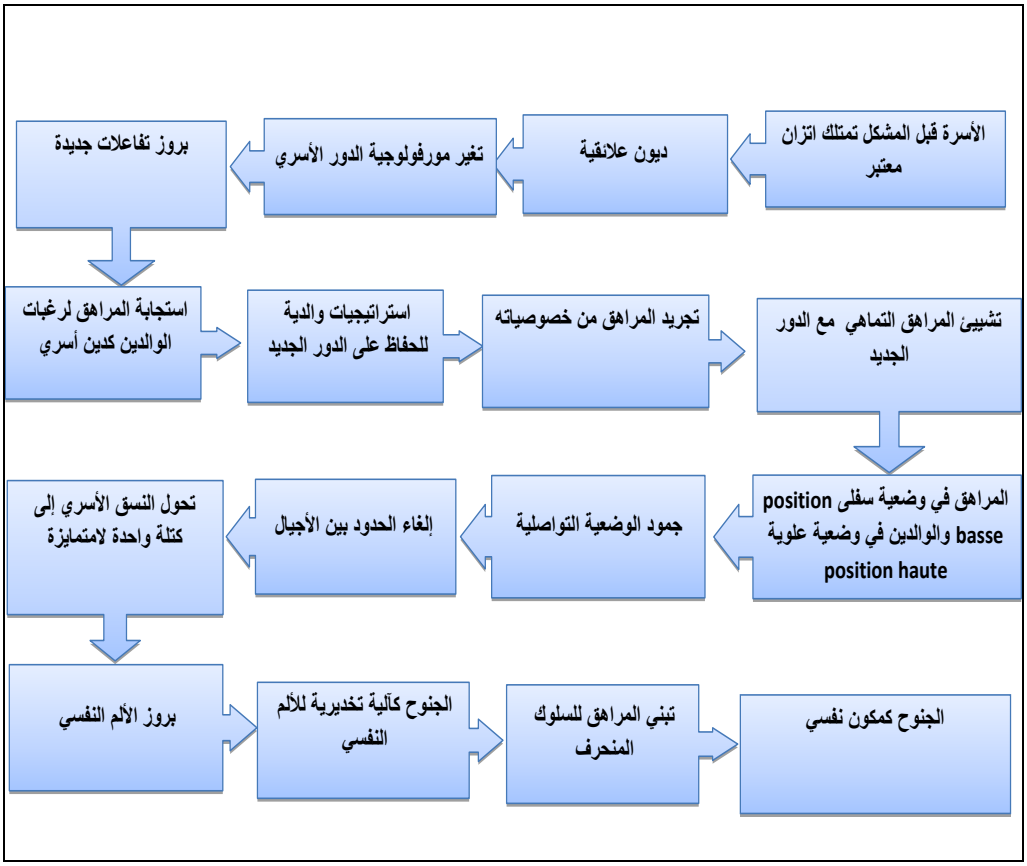

نموذج رقم -3يوضح سيرورة المرور للفعل الجانح داخل النسق الأسري.

وهو ما أكد صحة الفرضية الأولى التي تقضي أن جنوح المراهقة ما هو إلا تغذية مرتدة لنمط تواصل مرضي داخل النسق الأسري.

أما فيما يخص التساؤل الثاني الذي يبحث عن ماهية الأنماط التواصلية المرضية داخل النسق الأسري الذي ينتمي إليه الجانح، فتوصلت الباحثة إلى أن أهم هذه الأنماط تتمثل في التالي:

خرافة التناغم الأسري.

خرافة الولاء الأسري.

نمط التعمية التواصلية.

وهو الذي أكّد صحة الفرضية الثانية التي تقضي بوجود أنماط تواصلية مرضية داخل النسق الأسري الذي ينتمي إليه المراهق الجانح.

خاتمة:

يعتبر الفعل الجانح عند المراهق معطى ونتيجة في ذات الوقت: معطى كونه يعبر عن اضطراب داخل البنية الأسرية، ونتيجة كون المراهق عبر عنه، وهو الموضوع الذي لا يمكن دراسته إلا من خلال إطاره الموجود فيه، إذ تعد المقاربة النسقية الأسرية هي الأمثل لتناول هكذا مواضيع والتي من شأنها محاصرة الفعل الجانح عن طريق جلسات العلاج الأسري، إذ يعد أكبر خطأ يقع فيه العاملين في مجال العلاجات النفسية هو وضع المقاربة النسقية موضع العلاج المعرفي السلوكي الذي يرتكز على إحداث التغيير في الشخص الحامل للعرض بغض النظر عن عمق التغيير وديمومته، متجاهلين بذلك الأهمية القصوى لفهم معنى السلوك المضطرب داخل ذلك النسق، وفهم الآليات النسقية والتواصلية التي أدت لذلك.

المراجع المعتمدة:

1. أكحل نفيسة، العنف الأسري وعلاقته بانحراف الأحداث، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، العدد9، الجزء 2.
2. أوجست أوكهورن، بدون سنة، الشباب الجانح، تر السيد محمد غنيم، ط1، دار المعارف، مصر.
3. بوثلجة مختار، (2018)، الصدى في العلاج الأسري النسقي بين الإطار النظري والممارسة العيادية، مجلة وحدة البحث في تنمية الموارد البشرية، المجلد9، العدد3، ج2، ص92-103.

4. خالص شامة وميزاب ناصر، (2020)، إدراك النسق الأسري لدى المراهق المدمن على المخدرات، مجلة دراسات نفسية وتربوية، المجلد13، العدد3، ص253-271.
5. رحماني شريفة، (2018)، أساليب التواصل الوالدية داخل الأسرة، مجلة تطوير للبحوث الفلسفية والاجتماعية والنفسية، مجلد 5، العدد 2.
6. السيد علي شتا، (1993)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
7. صالح غريون، (2015)، مساهمة في دراسة العنف عند الحدث من خلال المقاربة النسقية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد44، ص55-76.
8. عبد السلام أبو الحسن، (2005)، أنماط التواصل مع الوالدين وعلاقتها بالتوافق الأسري والجناح الكامن لدى المراهقين من الجنسين، مجلة كلية التربية، عدد 29، ج4، ص183-256.
9. عبد الغني الديدي، (1995)، التحليل النفسي للمراهقة، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت.
10. علاء الدين كفافي، 2009، علم النفس الأسري، دار الفكر ناشرون، القاهرة.
11. فهد بن علي، (2011)، التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالأمن الأسري، المحلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 69، العدد 58، ص 347-405.
12. قانون الاجراءات الجزائية، 2015، ط جديدة، برتي للنشر، الجزائر.
13. قهوجي عبد القادر، (2000)، علم الإجرام وعلم العقاب، دار المعرفة الجامعية، بيروت.
14. محمد خماد وسعيد بن نويوة، (2018)، التواصل الأسري وعلاقته بالأمن النفسي لدى الأبناء، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مجلد 4، العدد 2، ص 57-72.
15. محمد عاطف غيث، علم الاجتماع التطبيقي، دون دار نشر.
16. مخيمر صلاح، (1986)، تناول جديد للمراهقة، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة.
17. منير العصرة، (1974)، انحراف الأحداث المشكلة والعوامل، ط1، المكتب المصري للطباعة والنشر، الإسكندرية.
18. المومني أحمد، (2006)، أثر نمط التنشئة الأسرية على الأمن النفسي لدى الأحداث الجانحين بالأردن، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد7، العدد2، ص132-154.
19. Angel S et al, (2005), les toxicomanes et leurs familles, Armand Colin, Paris.
20. Brusset B et Caille, (1989), l'anorexique et le toxicomane et leurs famille, ESF, Paris.
21. Coslin P, 1996, les adolescents devant les déviances, PUF, paris.
22. Elkaim M, 1995, Panorama des Thérapies familiales, seuil, paris.
23. Elkaim M, 2001, l'expérience personnel du psychothérapeute, Approche systémique et résonance, Cairn, info
24. John louis Linares , le couple au carrefour entre conjugalité et parentalité , thérapie familiale en Europe ; invention à cinq voix. Sans année.

25. Kosten J, (2004), family communication patern, sex of subject and communicate competence, PDF.
26. Marcelli D,2004, L'enfant chef de la famille, Réunion-Débat organisé par « grandir ensemble », p3, en ligne ; http://scholar.google.com/enfantchefdelafamille consulter le: 20/12/2020 19.47h.
27. Muriel Meynckens-Fourez et al, (2007), Dans Des Thérapies Familiales, Erés.
28. Pierre Michard, (2005), la thérapie Contextuelle de Boszormenyi-Nagy, Carrefour Des Psychothérapies, De Boeck Superieure.
29. Reuchlin M, (1998), les Méthodes en psychologie, Alger, Edition Casbah.
30. Rozenwig J-P, 1992, Comment se structure l'idée de loi chez l'enfant dans la famille, Tome 45 n3 ; en ligne:http://www.persee.fr/web/revues/articale/enfant0013-7545-1992-num45-3-2010 consulter le 20/12/2020 15.38h.
31. Watzlawick J et al, 1975, changement paradoxe et psychothérapie, Edition du seuil, Paris.
32. Watzlawick P et al, (1972), une logique de la communication, Point Essais, Paris.